

اغتنام الأوقات
في الأيــام الفاضــــلات

وقفــــــــة
• مع يـــوم عرفـــة

فضيلة الشيخ د. محمد عبد الكريم

www.alhidaya.net

• خير أيام الدنيا
فضل عشر ذي الحجة

فضيلة الشيخ ملهم محمد الحسن

التصميم والإخراج الفني:
الراسيات للإنتاج الإعلامي
هاتف: ٠١٢٢٠٨٨٧٧٧

وقفـــــــة
مع يـــوم عرفـــة

فضيلة الشيخ د. محمد عبد الكريم

الحمد لله اللطيف الروؤف المنان، الغني القوي السلطان، الحليم الكريم الرحيم الرحمن، الأولِ فلا شي قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه، يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، أرسى الأرض بالجبال في نواحيها، وأرسل السحاب الثقال بماءٍ يحيها، ثم قضى بالفناء على جميع ساكنيها، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [سورة النجم الآية ٣١]؛ أحمده تعالى وأشكره، ومن مساوئ عملي أستغفره، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له، جل عن الأشباه والأمثال، وتقدس عن الأضداد والشركاء والأشكال، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وعظيمنا وقدوتنا وأسوتنا محمداً رسولُ الله، عِتْرته خيرُ عِتْرة، وسيرته خير سيرة، وشَجَرته خير شَجَرة، نبتت في حرم، وبسقت في كرم، أرسله الله بالبينات الظاهرات، والمعجزات الواضحات، فأقام الله تعالى به الحجة على الأنام، فمن أطاعه فقد رشد واهتدى، ومن عصاه فقد ضل وغوى، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن اصطفى.

أما بعد.. أيها المسلمون عباد الله،

أوصيكم ونفسي بتقواه، فإن الله تعالى وصى بذلك الأولين والآخرين، فقال رب العالمين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة النساء الآية ١٣١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [سورة لقمان الآية ٣٣].

تزود للذي لا بد منه * فإن الموت ميقات العبادِ
وتب مما جنيت وأنت حي * وكن متهيئاً قبل الرقادِ
ستندم إن رحلت بغير زاد * وتشقى إذ يناديك المنادي
أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زادِ

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [سورة البقرة الآية ١٩٧].

أيها المسلمون عباد الله،

لقد أظلكم يوم جليل عظيم من أيام الله، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [سورة إبراهيم الآية ٥]؛ لقد أظلكم يوم عرفة، سيد أيام السنة كلِّها، ولنا موعد مع عرفة، وذكريات مع هذا اليوم الأغر من أيام رب الأرض والسماء، هذا اليوم الذي قال فيه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((سيد الأيام يوم عرفة))، يوم يجتمع فيه شرف الزمان مع شرف المكان، أما الزمان، فزمان التاسع من ذي الحجة، يوم الوَتْرِ الذي أقسم الله به، على أحد أقوال أهل العلم في تفسير الآية: ﴿والشَّفْعِ والوَتْرِ﴾ [سورة الفجر الآية ٣]، يومٌ

جعل الله صيامه لغير الحاج يُكَفِّرُ سنتين كاملتين، سنةً ماضيةً، مضت بما فيها من الأقوال، والأعمال، والمواقف، والنيات، وسنةً ستأتي من عمر الإنسان إن قدر الله ذلك وقضى؛ سنتان يغفر الله عَزَّوَجَلَّ ما فيهما من الزلات، ويتجاوز الله عَزَّوَجَلَّ عما فيهما من الخطيئات، لمن صام هذا اليوم احتساباً لله جَلَّوَعَلَا.

وأما المكان، فالمكان هنالك خارج مكة بعد بطن عرنة، ذلك المكان الأبيح، المكان الممتد الفسيح، الذي أنزل الله تعالى إليه أبانا آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يومَ أن خلقه الله جَلَّوَعَلَا في السموات العلا، وأهبط آدم من الجنة ونزل إلى هذه الأرض، كانت لنا ذكرى مع أبينا آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ذلك المكان العظيم المقدس، في ذلك الوادي المقدس الذي هو خارج مكة بعد بطن عرنة نزل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومعلومٌ أن خَلْقَه كان يومَ الجمعة، وأن إسكانه الجنةَ كان يومَ الجمعة، وأنه ما مكث في الجنة إلا ساعةً، وأنه أهبط من الجنة يومَ الجمعة، فلما نزل إلى هذه الأرض، ساقه الله جَلَّوَعَلَا إلى عرفة، فوقف فيها آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والحديث في المسند بإسنادٍ صحيحٍ بمجموعِ طُرقِه ورجالُه رجالُ الصحيحِ غيرَ جبير بن كلثوم، وهو من رجال مسلم، ووثقه غيرُ واحدٍ غير النَّسائي، والحديثُ عموماً أشار الحاكم إلى صَحَّتِه في مستدْرَكِه، والشيخُ الألبانيُّ في شرحه للطحاوية وصحيح الجامع، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ((إن الله تعالى مسح على

ظهر آدم وهو بنعمان ــ يعني وهو بعرفة ــ، مسح الله تعالى على ظهر أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو واقف بعرفة، فأخرج من صُلْبِه ــ أخرج من ظهـره ــ كلَّ ذُرِّيةٍ ذَرَأَهـا إلى يوم القيامـة، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف الآية ١٧٨]، تلك هي الذكرى الأولى، ذكرى الميثاق الأول، مع أب البشرية والانسانيةِ، آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والحديث وإن رَجَّحَ ابنُ كثيرٍ وقفَه على ابن عباس، إلا أنه ليس مما يقال بالرأي.

إن الله عَزَّوَجَلَّ اختار عرفة، واختار الزمان الشريف الذي نزل فيه آدمُ عليه والسلام، ليعقد عهداً وميثاقاً بيننا وبينه، هنالك في ذلك المكان، يمسح الله الجليل سبحانه على ظهر أبي البشريةِ آدمَ، فيُخْرِجُ من صُلبِه ذراريه وأبناؤه ويُسَلِّمُهُم قِبَلاً، ويُقَدِّمُهم بين يديه، وهم في عالم الذر، وهم كالذر بين يديه سبحانه، الخلائق كلها، البشرية كلها بين يديه، يكلمهم ربهم جَلَّوَعَلَا، ويجيء القرآن ويثبت هذا الكلام بيننا وبين ربنا، يوم أن كنا في عالم الذر، ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ [سورة الأعراف الآية ١٧٨].

إنه الميثاق الأعظم، الأضخم، الأول، الذي أخذه الله عليك وأنت في عالم الذر، ولكي لا يحتج محتجٌّ بأنه كان في غفلة عن ذلك الميثاق، وفي غفلة عن ذلك العهد، أرسل الله رسله، وأنزل الله كتبه، لكي لا يكون للناس على الله حجةٌّ بعد الرسل، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد ميثاق الرسل، فيأتي ذلك الميثاق ليصدق الميثاق الأول، مع ميثاق الفطرة التي قال الله عنها: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم الآية ٣٠].

إخوة الإيمان حراس العقيدة،

إن الله جَلَّ وَعَلَا إذ أخذ علينا الميثاق بتوحيده وعبادته في ذلك المقام، وفي مثل هذا اليوم، يوم عرفة، إنما ليشير بذلك جَلَّ وَعَلَا إلى أن أهم قضية بيننا وبينه هي عبادته وتوحيده، إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق في أنفسنا حاجةً إليه، وأوجد في قلوبنا لهفةً لطاعته، ولذلك فإن النفوس مفطورةٌ على إفراد بارئها وخالقها، ولو ترك الإنسان من غير تهويد أبويه، أو من غير تنصيريهما، أو تمجيسهما، لوحَّد الخالقَ سبحانه وتعالى، ولكن أبويه يهوِّدَانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُمَجِّسانِه، فيغيران فِطْرَتَه، ويعكران عليه صفاء الميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده، فمن أراد اللهُ رحمتَه من العباد، استجاب لنداء الرسل والأنبياء، وأصغى لدعوتِهم، فيلتقي نداء الأنبياء ودعاؤهم، مع ميثاق

الفطرة التي فطر الناس عليها، فيعودُ الإنسانُ إلى فطرتِه ويعودُ الإنسانُ إلى جادَّتِه، يعود منتصراً مُكرَّماً، كما خلقه الله كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين الآية ٤]، في أحسن تقويم من الفطرة، والخلق، ولكنَّ الإنسان هو الذي يتردَّى في حلقةِ الشرك، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين الآية ٥-٦].

إذن، عرفة تذكرنا أولَ ما تُذَكِّرُنا، بالميثاق الأول الذي أخذه الله علينا، وجاءت آثار أخرى تؤكد لنا ذلك العهد، وذلك المقام، مقام آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما جاء في الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((إن الله تعالى مسح على ظهرِ آدم فأخرج من ظهره كل نَسَمَةٍ ذرأها إلى يوم القيامة، وأغدقَ عليهم من نوره، فرأى آدمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تلك النَسَمات، رأى تلك الخلائقَ كلَّها، من بعده إلى يوم القيامة، فقال: من هؤلاء يا رب؟ قال: هؤلاء ذريَّتُك إلى يوم القيامة، فرأى رجلاً منهم بين عينيه وبيص من نور، فقال: من هذا يا رب؟ قال: هذا رجلٌ من آخر أمَّتِك اسمُه داودُ ــ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ــ؛ فقال: يارب كم عُمُرُه؟ قال: ستون سنة، قال: فيا رب فاجعل له من عمري أربعين سنةً، فلما جاء مَلَكُ الموت إلى آدمَ عليهِ السلامُ بعد انقضاء أجلِه ليأخذه، لِيُمِيتَهُ، قال: يا ربُّ ألم يبق من عمري أربعون سنةً؟ قال: ألم تُعْطِ ابنَك داودَ ــ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ـ فجحد آدمُ؛ فجحدت ذُرِّيَّتُهُ، ونَسِيَ آدمُ؛ فنسيت ذُرِّيَّتُهُ، وخَطِئ آدم؛ فخَطِئتْ ذُرِّيَّتُهُ))، والحديث إسناده صحيح، وأشار الحاكمُ أيضاً إلى صِحَّتِه وغيرُه.

إذن، الله سبحانه وتعالى أخذ على بني آدم في ذلك المقام ذلك العهدَ بتفاصيلَ أُخرى، كما ثبت في الصحيحن من حديث أنس رضي الله تعالى عنه أن الله عَزَّوَجَلَّ يقول للكافر يوم القيامة: (أرأَيت لو أن لك ما في الأرض أكنت مهتدياً به؟ فيقول: إيْ ربِّ، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: لقد سألتك أهون من ذلك وأنت في ظهر أبيك آدم، ألا تشركَ بي، فأبيت إلا الشرك)، وذلك دليلٌ على صِحَّةِ ذلك الميثاقِ الذي أخذ في عرفة.

إخوة الإيمان حراس العقيدة،

وتجئ الذكرى الثانية، وهي من الذكرى الأولى في تجديد ذلك الميثاق، وتوكيده، يجيء رسولنا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويدور الزمان دورتَه، ليقف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يومَ عرفة، في يوم الجمعة، ليقف ذلك الموقفَ العظيمَ، وليجتمع عيدان، عيدُ الأسبوع لهذه الأمَّةِ التي شرفها الله وأكرمها، وعيد السَّنَة، وكان العرب قد أنسؤوا الشهور، وأخروا وقدموا، فجاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكان زمانُه وكانت سنتُه وكان عامه، هو العامَ المتطابقَ، مع خَلْقِ الله يومَ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ، فَجَعَلَ الأشْهُرَ، وجعل الزمان، فجاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكانت حجته حجةَ الوداعِ في الزَّمانِ الصحيحِ التامِّ، فتوافق

ذلك مع يوم الجمعة، ومكث صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في مثل صبيحة هذا اليوم، مكث في مِنًى حتى طلعت الشمس، وأمر بِقُبَّةٍ تضرب له بنَمِرَةَ، فركب صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ القصواءَ بعدما زاغت الشمس، ارتحلها ثم مضى عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ مُيَمِّماً شطر عرفة، ولا تشك قريش إلا أنه واقفٌ عند المشعر الحرام عند ذلك الجبيل الصغير الذي يسمي بـ(جبيل قزح) وكانت قريش تقف عنده، ولا تتجاوزه إلى عرفة، زعماً منهم أنهم أهلُ الحرم، وأنه لا يخرج من الحرم إلا الآفاقِيُّون أما الحَرَمِيُّ المكيُّ فإنه يخرج عند المشعر الحرام، ليفيض من المشعر الحرام، ويفيضَ غيرُه من عرفة، فأنزل الله جَلَّوَعَلَا راداً تلك البدعة والمحدثة التي أحدثها القرشيون، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية ١٩٩]، أي أفيضوا جميعاً من حيث يفيض النّاس من عرفة، لا من المشعر الحرام، فمضى عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ والقرشيون في وهمهم وظنهم، أنه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ سيقف عند المشعر الحرام، ولكنه تجاوز المشعر الحرام، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، ونمرة ليست من عرفة ــ دون عرفة ــ ولكنها من الحرم، فنزل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فدخل القبة، ثم خرج بعدما زالت الشمس، فخطب النّاس، خطب النّاس خطبة عظيمة، يقول جابرُ بنُ عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ثم خطب الناس فقال: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمةِ يومِكم

هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا وإن دماء الجاهلية موضوعةٌ، ألا وإنَّ كلَّ شيءٍ من أمر الجاهليةِ تحت قدميَّ هاتَيْن موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضعه من دمائنا دمُ بنِ ربيعة الحارث بن عبد المطلب، فإنه كانَ مسترضَعاً في بني سعد فقتلته هُذَيْل، وربا الجاهلية موضوع كلُّه وأول رِباً أضع ربانا، ربا عباسِ بنِ عبد المطلب، فإنه موضوع كلُّه، فاتقوا الله في النساء فإنكم أَخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لايوطئن فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن فضرباً غير مُبَرِّح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإني قد تركت فيكم مالنَ تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتابُ الله، وأنتم مسؤولون)) وفي رواية: ((تسألون عني، فما أنتم قائلون؟))؛ قالوا: إنا نشهدُ أنك قد بلَّغتَ رسالاتِ ربِّك، ونصحت، وأديت، وقضيت الذي عليك، فجعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع أُصْبُعَهُ السبابةَ إلى السماء، ثم ينكثها إلى الناس: ((اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد)).

إنها خطبةٌ عظيمةٌ، إنها كلماتُ النبوة الآخرة، التي يجدد الله تعالى بها وقفة أبينا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وربنا يأخذ علينا الميثاق، يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إنّ دماءكم أيها المسلمون، إن دماءكم عبادَ الله، يا من توحدون الله، ويا من رضيتم بميثاق الله الأول، يا من أطعتم رسل الله جميعاً، إن دماءكم معصومةٌ إن دماءكم

محرَّمةٌ، لا يجوز إراقتها بعد هذا اليوم، وحرمتها ليست بأقل من حرمة هذا اليوم العظيم من أيام الله، ولا أقل من حرمة هذا الشهر العظيم من شهور الله، ولا أقل من حرمة ذلك البلد العظيم من بلاد الله، مكة التي شرفها الله وحرمها، إن حرمة الدِّماءِ وحرمةَ الأعراضِ كحرمةِ يومِ عرفةَ، كحرمةِ يوم الجمعة، كحرمة شهر ذي الحجة، كحرمة البلد الحرام، لا يجوز لإنسانٍ أن يتلاعب بأموال المسلمين، ولا بأعراضهم، ولا بدمائهم، وإنما الحكم الفصل فيها كتابُ الله جَلَّوَعَلَا، لا يحلِّ دمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: التارك لدينه المفارق للجماعة، والردة بعدَ إيمان، والزنا بعد إحصان، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحقِّ، هكذا قضى الله عزو وجل، وأمر عباده أن يصرفوا الأموال، وأن يحكموا في الأعراض والأموال.

ولكن جاء من جاء من هذه الأمة، ومن ينتسب إليها في هذا الزمان، ليحكم بشرع غير شرع الله، ليحكم بغير كتاب الله، وغيرِ سنةِ رسولِ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولينقضَ العهدَ الذي بيننا وبين الله، فيخرج من هذه الأمة من ينقض عروة الحكم وينقض عروة الشريعة، وينقض عروة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ليتلاعب بالدماء والأموال والأعراض كما يشاء، وليحق علينا أمر الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الأمة، فيجعل الله بأسنا بيننا شديداً، كما حذر الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك، وليتسلط علينا شراذمة

الخلق، يتسلطون على المسلمين في كل مكان، من اليهود، والنصارى، ومن شايعهم، من أراذل الخلق، يتسلطون على هذه الأمة، يغيرون عليها، يحرقون خضراءها، ويحاربونها في عقر دارها، والمسلمون يتخاذلون، يتخاذلون عن إخوانٍ لهم في أقدس الأماكن، في فلسطين، وشرُّ الخليقةِ من اليهود يحاصرونهم، ويؤذونهم إذ يرفعون شعارَ الإسلام، إذ يرفعون دين الله عَزَّوَجَلَّ، ويريدون لقضية المسلمين الأوَلى أن تكون قضية الإسلام، يخذلونهم إذ يصلون إلى الدولة، ويحاربونهم مع المنافقين الذين يبغونها عوجاً ويريدونها غير كتاب الله، وغير سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يريدونها علمانية إذ يفصلون الدين عن الحياة، ويفصلون الدين عن السياسات التي تحكم الأموال والأعراض والدماء، ويقفون معهم، يقفون مع سلطة باغية، ظالمة، مجرمة، يقفون مع سُلطة تقطع وتمنع شعار الإسلام، يمدونهم بالأموال، ويمدونهم بالسلاح، يمدونهم بالقوة، ليجهضوا كلمة الإسلام وكلمة الجهاد في بيت المقدس وفي فلسطين.

وقل مثل ذلك في العراق، وقل مثل ذلك في الصومال، حيث قام إخوان من المسلمين هناك قاموا وتعاهدوا على ماذا؟ تعاهدوا على نهب ثروات المسلمين؟ على إذلال المؤمنين؟ على النهب والسلب والقتل؟ لا، بل تعاهدوا على شرع الله، وسمَّوا

حركتهم حركة المحاكم الشرعية، وأرجعوا الحقوق إلى أهلها وأقاموا كتاب الله في المدن التي دخلت إليها أيديهم أقاموا كتاب الله بالقسط وبالعدل، فنشروا الرحمة ونشروا الخير كله، فتخاذل المسلمون ووقفوا يتفرجون عليهم، وكأن القضيةَ لا تعنيهم، وكأنهم قاموا لغير الله، ولغير كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، تخاذل المسلمون حيالَهم، فنرى هذا التآمر عليهم كالتآمر من قبل على طالبان، هنالك في أفغانستان، كالتآمر على إخواننا في أفغانستان، يتآمر الأعداء على من يرفعون كتاب الله، في أرض الله، وفي سماء الله، ليعيدوا الأمر إلى نصابه وليجددوا ميثاق الله إلى خلقِه، ولكنَّ هذا التآمر إخوةَ الإيمان، لن يستمر طويلاً، فنحن على يقينٍ من وعد الله، أن الله تعالى سيتم أمرَهُ، وسينصر دينه وأولياءه، كما وعد ربنا، وهو لا يخلف الموعد أبداً، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ [سورة النور الآية ٥٥]، ذلك وعد الله، ووعدُه أيضاً في ثلاث آياتٍ من كتابه، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة الآية ٣٣، سورة الصف الآية ٩].

فاستبشروا بوعد الله، وتأكدوا من نصر الله، وإنما الله عزَّ وجل يزلزل المؤمنين، كما زلزل أسلافَهم من السابقين، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، ولكي لا يصل إلى النصر والتمكين، إلا من يستحقه من عباد الله الصالحين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة الآية ٢١٤].

وهكذا ذهب الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يبطلُ بالإسلام كلَّ الجاهلية، وإنما الأمر أمران: إما إسلام وإما جاهلية، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٥٠]، أَبْطَلَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبته تلك كلَّ ألوانِ وصورِ الجاهليةِ، سواءً كانت جاهلية عقائدية تصورية، أو كانت جاهلية أخلاقية، أو كانت جاهلية عهد وميثاق، أو جاهلية أعراف وتقاليد، أبطلها كلَّها بالإسلام عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أشاد بحرمة الإسلام، وحرمةِ الدِّين، وأبطل الجاهلية، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((ألا وإن كلَّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع))، لم يُبجل ولم يعظم ولم يحترم أي صورة من صور الجاهلية، ولم يبجل أي عادة من عادات الجاهلية، ولو كانت من عاداتِ العرب، ولو كانت من عادات قريش، ولو كانت من عادات

قومه، فالجاهليةُ جاهليةٌ، كلُّ ما عدا الإسلام جاهليةٌ، سواءٌ صدر من عرب أو عجم، صدر من أبيضَ أو أسودَ، طالما خالفَ الإسلام وناهضه فهو جاهلية، لا كرامة للجاهلية ولا عزاء ولا حرمة للجاهلية، ولا احترام للجاهلية، بل الجاهلية مُهانةٌ، الجاهلية تحت أقدام المُوحدين، الجاهلية تحت أقدام عبادِ الله الصالحين، لا يُعْطُونها وزناً، ولا يُعْطُونَها قيمةً، ألا وإن كلَّ شيءٍ من أمر الجاهلية تحت قَدَمَيَّ هاتين موضوع، هذا هو التوحيد، وهذا هو الإيمان، وهذا هو تحقيقُ لا إله إلا الله، إعزاز الإسلام واحترامه، وتوهين الجاهلية وإذلالها، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهانا عن أن نتعزى بعزاء الجاهلية ويقول: ومن تعزى بعزاء الجاهلية فعيروه بِهَنِ أبيه، ولاتُكَنُّوا، أي: المزوه، وسُبُّوه، واشتموه، بفرج أبيه قولوا له فيلمصص ذكر أبيه، فالذي يتعزى بعزاء الجاهلية كالذي يمصص فرج أبيه، قولوا له ذلك، عيروه بِهَنِ أبيه، ولا تُكَنُّوا، بهذا التصريح، من أجل النكير الشديد على أمر العزاء بعزاء الجاهلية، أبطل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلَّ الجاهلية.

ويأتي في هذا الزمان من يجدد ويستخرج وينبش ويستخرج للمسلمين الجاهليات الوضيعة، يخرج لهم جاهليات الأجداد الوثنين، فهذا يخرج لقومه جاهلية الفراعنة، ويسمي الشوراع بأسماء الفراعنة، والشركات بأسماء الفراعنة، وآخر ياتي فيقيم حضارة البابليين كما زعموا، ويستخرج طغاة الوثنين من البابليين، والثالث يعتز بحضارة العمالقة من الجبارين

والفينيقين واليونانين، وآخرون يأتون ليجددوا حضارة الوثنين من الأفارقة، وليقولوا للناس: حضارتكم حضارة الأفارقة، حضارة العراة، حضارة الكجور، حضارة البنايات التي بنيت من أجل عبادة غير الله، والأنصاب، والتماثيل التي عكف عليها الجاهليون، يخرجون هذه جميعها، ليقولوا للناس: هذه حضارة البشرية، وهذه حضارتكم.

أيها المسلمون في كل بقعة وفي كل أرض،

إنها جاهليات موضوعة تحت أقدام المؤمنين والمؤمنات، ينبشها القوم ليزاحموا بها النور الذي نزل من السماء، ليزاحموا بها الميثاق الذي أخذه الله تعالى علينا، ونحن في ظهر أبينا آدم، كل أمر الجاهلية موضوع، يأتي الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في تلك الخطبة العظيمة ليبطل كلَّ الدماءِ التي كانت في الجاهلية، ولو كانت دماءهم هم، دماء عبد المطلب، ويقول: أول دم أضع من دمائنا دمُ ربيعة بنِ الحارث بن عبد المطلب، طفل صغير قتل ظلماً، قتل بغير جريرة، كانت بنو عبد المطلب لا تزال تطالب بثأره وبدمه من بني هذيل، فيبطل النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ثارات الجاهلية، ويبطل ربا الجاهلية، لأن ذلك كان من عهد الجاهلية، ومن أعراف الجاهلية، أن يأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة، فيبطل الربا، وأول ما يبطله ربا العباس بن عبد المطلب، كان له على بعض القرشيين والعرب أموالٌ يستحقها بحسب أعراف الجاهلية، بحسب ربا الجاهلية، فَيُبْطِلُ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربا الجاهلية.

وهكذا يضع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النظام الاجتماعي للأسرة في ذلك المقام، وفي تلك الخطبة، فيوصي بالنساء خيراً، ويحُدُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الواجباتِ، والحقوقَ، وحقوقَ الأسرة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع الاسلامي، فيوصي بالنساء خيراً ويأمرنا أن نتقيَ اللهَ في النِّساءِ وأنَّ أخذَهُنَّ، واستحلالَ فروجِهِنَّ ماكان بجاهلية، ولا بهوىً، ولا بأعرافٍ، ولا بتقاليدَ، ولكن ذلك كان بكتاب الله، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وها هي كلمة الله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [سورة النساء الآية ٣]، بهذه الكلمة فقط استحللتم فروجَهنَّ، ليعيد الأمر إلى الله، وإلى كتابه، ويوزع الحقوق، فالمراة ترعى بيت زوجها، لا تُدْخِلُ أحداً يَكْرَهُهُ الزوجُ، ولو كان من أقرباء الزوجة، والزوج عليه بأن ينفق عليها بالمعروف، وهكذا تتوزع الحقوق والواجبات بين الزوجين، في اللبنة الأولى من لبنات المجتمع.

يقيم النظام الاجتماعي كما أقام النظام الاقتصادي على العدل وعلى نبذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل، كل ذلك بشرع الله.

ثم يعطينا الأمان والضمان لاستمرارية الاعتصام بالله، والاعتصام به، ألا وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده، تركت فيكم أمراً عظيماً مادمتم معه فأنتم لستم على ضلال،

أنتم في هدى، ماهو هذا الأمر العظيم؟ إنه كتابُ الله، كتابُ الله الذي لم يتبدل، ولم يتغير، الذي لن يتحول أبداً، إذا اعتصمتم بكتاب الله فقد هديتم، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٠١]، وهكذا بَيَّنَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلك الخطبة العظيمة هُدَى الله الذي خاطب الله تعالى به آدم يوم أن قال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [سورة طه الآيات ١٢٣ ـ ١٢٦].

وبعد ذلك كله، بعد إقامة نظام الإسلام، وإهارة وهدم نظام الجاهلية، وإعطائنا الضمان بالاستمرارية، يُشهِدُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرَ البرية بعد الأنبياء، صحابته رضوان الله عليهم، يشهدهم على بلاغ الدين، يشهدهم على بلاغ الرسالة، يشهدهم على أن هذا الأمر قد تم وكمل، فيقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ للصحابة ويشير بأصبعه: ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ يرددها سؤالاً إلى الصحابة فيقولون جميعاً بلسانٍ واحدٍ، بلسان الحال والمقال، يقولون جميعا بملءِ أفواههم: نشهد أنك قد بلغت، نشهد أنك قد بلغت، يالها من أعظم شهادة، يالها من أفخم شهادة يشهدها مسلم، أن يشهد للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبلاغ المبين، وقد قال له رب العالمين: ﴿يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة، الآية ٦٧]، وقال له: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ١٨]، فشهدوا له، وقالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأتممت رسالاتِ ربِّك، وأديت، ونصحت، وقضيت الذي عليك، كل تلك العبارات يقولوها الصحابة في ذلك المقام، في يوم عرفة، وهم يقفون أمام المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان عددهم أكثر من عشرة آلاف مسلم، فيهم الرجال والنساء والصبيان، كلهم يشهدون للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالبلاغ المبين، فيرفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبعه إلى لسماء، إلى جهة الربِّ في عليائه، وفي جهة استوائه، يرفع أصبعه إلى السماء، ويقول: اللهم اشهد، اللهم اشهد، يرفعها إلى السماء، وينكسها إلى الناس يرفعها الى السماء وينكسها إلى الناس، أشهد ربه على شهادة خلقه، وكفى بربك شهيدا، وكفى بربك هادياً ونصيراً.

وتتنزل من السماء آيةٌ عظيمة كبيرة، آية مهمة، يقول عنها بعض اليهود لعمر: آيةٌ لو نزلت علينا معشرَ اليهود، لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فيقول عمر بن الخطاب: أي آية؟ فيقول اليهودي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [سورة المائدة، الآية ٣]، فيقول عمر: فإني لأعلم في أي يوم نزلت فيه، وفي أي ساعة نزلت، نزلت يومَ عرفة، في يوم جمعة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائمٌ على دابته، يُنْزِلُ الله ليصدق شهادة الصحابة الكرام، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [سورة المائدة، الآية ٣]. وما ذلك إلا لأنه بلَّغَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ البلاغَ المبينَ.

بعدما قضى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تلك الخطبة نزل، فأذن بلال أذاناً واحداً، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ثم ارتحل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ناقته القصواء من جديد، فأتى الصخرات، فجعل حبل المشاط بين يديه، وجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات المشرفات، التي تحت جبل الرحمة، ولم يصعد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك الجبل، فلم يزل واقفاً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رافعاً يديه، وجعل الجمل بينه وبين القبلة، ولم يزل يدعو الله جَلَّ وَعَلَا بدعاء طويل استمر لساعات من مثل هذا الوقت إلى مغيب الشمس، لم يتحرك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولم ينزل من دابته، وما فعل شيئاً، غير أنه شرب قَدَحاً من لبن، أرسلت إليه أم الفضل بقدح من لبن، فشرب ذلك القدح من اللبن وهو واقفٌ موقفَه ذلك، لا يكلم الناس، ولكنه يناجي رب الناس، ويلبي، ويقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، يسأل الله عَزَّوَجَلَّ وملؤه الخشوع، وملؤه التقى، وملؤه الإقبال والاستسلام لله جَلَّ وَعَلَا، لم يزل واقفاً وهو يقول للناس: ((وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف، وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف)).

وقف كذلك عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في مثل هذا اليوم الذي يدنو فيه الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، يباهي بالذين يقفون ذلك الموقف العظيم، فيقول جَلَّ وَعَلَا لملائكته: ما أراد هؤلاء؟ ثم يقول لهم: هؤلاء عبادي، جاؤوني شعثا غبراً، من كل فجٍّ عميق، من كل جزائر الدنيا من كل قارات العالم، جاؤوني شعثاً غبراً، من كل فج عميق، يرجون رحمتي ويخافون عذابي وما رأوني!! فكيف لو رأوني؟؟ يخافونني يرجون الجنة ودخولها، وما رأوني، آمنوا بالغيب، لم يروا الله جَلَّ وَعَلَا، ولكنهم آمنوا بالله، لأن الآيات قامت على وجود الله، وعلى وحدانية الله، فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مخاطباً إيانا بعد مقالة الله، كما في حديث ابن عمر: ((فلو أن لك عليك مثل رمل عالج، ومثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً، لغسلها الله عنك))، هكذا يباهي الله عزوجل بعباده الشعث الغبر، الذين جاؤوا من كل فج عميق، يباهي بهم ملائكة السماء ليجدد العهد الذي بينهم وبين عباده في ذلك المكان العظيم، يوم أن أخذ علينا العهد ونحن في ظهر أبينا آدم.

ثم لما غابت الشمس وذهبت الصفرة، وسقط القرص، ارتحل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأردف أسامةَ بنَ زيدٍ وراءه، ومضى وهو يشنق للقصواء الزمام، حتى إن عنقها ليكاد يصيب مورك رحله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهو يقول للناس: ((أيها الناس،

السكينةَ السكينةَ))، يرفع باطن كفه إلى السماء، ((أيها الناس، السكينةَ السكينةَ، فإن البر ليس بالإيضاع))، فإذا وجد فُرْجَةً من الفُرَجِ، أرخى للقصواء الزمام، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء، ولم يصل يسبح بينهما شيئاً، وهكذا جدد لنا النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكرى عرفة.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، أن يضمنا فيمن يباهي بهم الملائكة في هذا الموقف العظيم، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، اللهم يا من قدرت علينا أن لا نشهد هذا المشهد العظيم هذا العام، نسألك ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، ألا تحرمنا مما تفيض به على أوليائك وعبادك في ذلك المقام في يوم عرفة، من الرحمة والرضوان، اللهم ما أنزلت عليهم من قبول الدعاء، وما أنزلت عليهم من إخراجهم من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، وما تنزل عليهم ربنا من الخير والبركة، اللهم فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب، اللهم تقبل أعذارانا، اللهم تقبل عذرنا، اللهم تقبل عذرنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم أعنا ولا تعن علينا، وانصرنا ولا تنصر علينا، وامكر لنا ولا تمكر علينا، ويسر الهدى إلينا، اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ألا تدع لنا في هذا المقام وفي هذا اليوم الأغر الشريف ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرَّجْتَه، ولا دَيْناً إلا قضيته، ولا ضَالاًّ إلا هَدَيْتَه، ولا مُبْتَلىً إلا عافيته، ولا ذنباً إلا سترته

وغفرته، اللهم استر عيوبَنا، اللهم استر عيوبنا، اللهم اغفر لنا خطِيئاتنا، اللهم اغفر لنا خطأنا، وعمدنا، وجهلنا، وهزْلنا، وكلُّ ذلك عندنا، اللهم إنا ضعفاء فقوِّنا، أقوياءُ بك فأعزنا، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها، دِقَّها وجِلَّها، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، اللهم تقبل طاعتنا في هذا اليوم وفي سائر الأيام يا أرحم الراحمين، اللهم من كان منا صائماً فتقبل صيامه، وارفع صيامَه، اللهم برحمتك يا أرحم الراحمين، واغفر لنا به يا ربنا ذنوبنا كلنا، ومن كان من أهل العذر فلم يصم هذا اليوم فتقبل اللهم عذره يا أرحم الراحمين، تقبل عذره يا أكرم الأكرمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم عليك باليهود الغاصبين، وبالنصارى المحتلين، اللهم ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم إنك أنت القادر عليهم، ومن أوليائهم من الأمريكان، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، اللهم زلزلهم كل مزلزل، اللهم زلزل كيانهم، اللهم أسقط طائراتهم، اللهم مزقهم، اللهم إنهم قد حاربوا أولياءك وعبادك من أجل شرعك ونبيك، ومن أجل كتابك وسنة رسولك، اللهم فنسألك ياربنا ويا إلهنا ويا مولانا، أن تنصر عبادك المستضعفين، اللهم انصرهم نصراً مؤزراً، اللهم اجعل الجولة والصولة لهم، اللهم كن لهم، ولا تكن عليهم، اللهم انصرهم، ولا تنصر عليهم، اللهم انصرهم على من بغى عليهم، اللهم إنك أنت القادر على نصرهم، اللهم إنَّ الأمر كلَّه

بيدك، وأنت القادرُ على نصرهم، اللهم فثَبِّت أقدامهم، وثَـبِّت قلوبهم، اللهم سدد رميهم وسهاهم، اللهم بارك في جهادهم، وبارك في ثباتهم، اللهم بارك في ثباتهم يا أرحم الراحمين، اللهم داو جرحاهم، اللهم تقبل شهداءهم، اللهم انصرهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم لا تُسْقِطْ لهم راية، اللهم لا تُنكِّسْ لهم راية، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم اجمع كلمة الصومال على إعلاء الدين، وعلى اعلاء كلمتك يا أرحم الراحمين، اللهم انصر عبادك المجاهدين في العراق، وانصرهم في أفغانستان، وانصرهم في الشيشان، وفي كل مكان يارب العالمين، وانصرنا اللهم في السودان على من بغى علينا، اللهم انصرنا على أعدائنا، اللهم لا تنكس راية الإسلام في هذا البلد، اللهم اجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك وتبع هداك، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتِك، ويُذَلُّ فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، يا سميع الدعاء، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللهم صلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آل مُحَمَّدٍ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خير أيام الدنيا
فضل عشر ذي الحجة

فضيلة الشيخ ملهم محمد الحسن

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد..

فإن الله فضل بعد الأزمنة على بعض، كما فضل بعض الأمكنة على الأخرى، ففضل مكة والمدينة على غيرهما من الأمكنة؛ فجعل الصلاة فيهما أفضل من الصلاة فيما سواهما من الأمكنة، ومما فضل من الأزمنة رمضان؛ ففضله على غيره من الشهور، وفضل ليلة القدر على غيرها من الليالي؛ فجعل العبادة فيها تعدل عبادة ثلاث وثمانين سنة.

ومما فضل من الأزمنة هذه الأيام العشر؛ فقد جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((مامن أيامِ العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الأيام، يعني أيام العشر))، قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه و ماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء))، وفي رواية: ((ما من أيامٍ العمل فيها أفضل من أيام العشر)).

وقد فضل الله هذه الأيام بأمور منها:

١) ذكرها في القرآن:

قال جل وعلا في سورة الحج مخاطباً نبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾.

جمهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، وممن قال ذلك ابن عمر وابن عباس والحسن وعطاء وعكرمة وقتادة والنخعي وهو قول أبي حنيفة والشافعي والمشهور عن الإمام أحمد.

٢) أقسم بها في القرآن:

قال تعالى: ﴿والفجر وليالٍ عشر والشفع والوتر﴾، وجمهور المفسرين على أن هذه العشر هي عشر ذي الحجة، وهو الصحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والفجر: قيل إنه أراد الصبح، وقيل طلوع الفجر، وقيل صلاة الفجر، قيل أريد به أول فجر من الأيام العشر، وقيل آخرها وهو يوم النحر.

والشفع والوتر: قيل إن الوتر هو يوم عرفة، والشفع يوم النحر، واستدلوا بما جاء في المسند من حديث جابر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر)) [حسن إسناده ابن كثير في تفسير. وقال: إسناده لا بأس به. وضعفه الإمام الألباني رحم الله الجميع].

كما أن هذه الأيام من الأزمنة الفاضلة فكذلك الفجر من الأوقات الفاضلة، وذلك لأمور منها:

أن الفجر وقت تجتمع فيه الملائكة:

كما صح عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين يأتون فيكم، فيسألهم الله ــ وهو أعلم بهم ــ: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: وهم يصلون، وأتيناهم وهو يصلون)) [رواه أبو هريرة، والحديث متفق عليه].

وفيه النزول الإلهي:

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))

[صحيح البخاري، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل].

وهو الوقت الذي يفرق بين المنافق والمؤمن:

لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً))

[متفق عليه من حديث أبي هريرة].

والقسم دلالة على تعظيم هذه الأيام.

٣) وهي الأيام التي أكمل الله فيها النعمة وأتم الدين:

ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين: آية في كتابكم لو علينا ــ معشر اليهود ــ نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عهداً. فقال: أي آية؟ فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾؛ فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي نزلت فيه، نزلت ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قائم بعرفة يوم جمعة. وعند الترمذي من حديث ابن عباس نحوه وقال فيه: "نزلت في يوم عيدين في يوم الجمعة ويوم عرفة. ما فرح أحد بغير الله إلا بغفلته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه، والعاقل يفرح بمولاه، ﴿قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون﴾".

٤) وإن في هذه الأيام يوم عرفة:

• فهو عيد أهل الإسلام كما في حديث عمر من رواية الترمذى: "نزلت فى يوم عيدين يوم الجمعة ويوم عرفة".

• وهو أفضل الأيام عند بعض العلماء لقوله: ((أفضل الأيام يوم عرفة)) [من حديث جابر عن ابن حبان وصححه الأرناؤوط].

• وصيامه يعدل صيام سنتين، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: ((صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده)) [من حديث قتادة عند مسلم].

• إنه يوم مغفرة من الذنوب والتجاوز عنها والعتق من النيران، لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيداً من النار من يوم عرفة. وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟)) [حديث عائشة عند مسلم].

• فيه خير الدعاء: لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير)) [عبد الله بن عمرو بن العاص، الترمذي، حسنه الألباني].

٥) أنها من الأيام الحرم:

لقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة، ذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذين بين جمادى وشعبان)) [من حديث أبي بكرة في الصحيحين].

قيل سميت بالأشهر الحرم لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها وأن القتال فيها محرم.

وروي عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: "جعل الذنب فيهن أعظم وجعل العمل الصالح والأجر فيها أعظم".

ما يستحب فيها من الأعمال

الصـــوم:

في المسند والسنن عن حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يدع صيام عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر. لكنه ضعيف بهذا اللفظ. وعند النسائي عن بعض أزواج النبي أنه كان لا يدع صيام تسع ذي الحجة. [صححه الألباني].

لكن جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: ((ما رأيت رسول الله صائماً العشر قط))؛ لذلك ذهب العلماء إلى صيام بعضه وترك بعضه.

عدم الأخذ من الجسم عند دخول العشر لمن أراد أن يضحي:

لحديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عند مسلم قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ((من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظافره شيئاً حتى يضحي)).

التهليل والتكبير والتحميد:

لما جاء في المسند من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر. فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد)) [صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط].

الحــــج:

والحج فضله معروف، من المغفرة ودخول الجنة، وأن التتابع بين الحج ينفي الفقر والذنوب.

الأضحية:

وهي سنة أبينا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

جميع الأعمال الصالحة من الصدقة وصلاة الأرحام والصلاة وغير ذلك.